

الفرج بعد الشدة

[36] بمذموم اللائمة، فإذا خلت من هذه الصفات اللئيمة، والشوائب المذمومة كانت وإن راع ظاهرها بصفات النعم أولى، وبأسباب المنح أحق وأحرى، وهى أعمال ذى الفهم الثاقب، والفكر الصائب مثله أيده الله تعالى بكامل عقله، وزائد فضله فيما يسامح به الدنيا من مرتجع هباتها، وتبدله من خدع لذاتها من علم أن أسعد أهلها منها ببلوغ الآمال أقربهم فيما خوله من التغيير والانتقال، وصفاءها مشوب بالكدر، وأمنها مروع بالحذر، لان انتهاء الشئ إلى حده ناقل له عما كان عليه إلى ضده، فتكاد المحنة بهذه القاعدة لاقتربها في الفرج يفسح الرجاء، وانتهاء الشدة فيها إلى مستجد الرخاء أن تكون أحق بأسماء النعم، وأدخل في باب المواهب والقسم، وبالحقيقة فكل وارد من الله عزوجل على العبد وإن جهل مواقع الحكمة منه، وساءه استتار عواقب الخيرة بمفارقة ما نقل عنه غير خال من مصلحة بتقديم عاجل، وادخار آجل، وهذا الوصف ما ذكر الله به القاضى إذ كان للمثوبة مفيدا، وللفرج ضامنا، وبالحظ مبشرا، وإلى المسرة مؤديا، وبأفضل ما عوده الله عائدا، وهو ينجز ذلك بمستحكم الثقة ووجاهة الدعاء والرغبة، ووسائل الصبر والمعونة. ولعله يكون إليه أقرب من ورود رقعتي إليه بقدرة تعالى ومشئته، ولولا الخوف من الاطالة، والتعرض للاضجار والملالة، باخراج هذه الرقعة عن مذاهب الكتابة، وادخالها ذكر ما نطق به نص الكتاب من ضمان اليسر بعد العسر، وما وردت به في هذا المعنى الامثال السائرة، والاشعار المتناقلة في جملة الرسائل وخير المصنفات لاودعتها نبذا من ذلك، لكننى آثرت أن لا أعدل بها عما افتتحتها به واستخدمتها له، مقتصرنا على استغناء القاضى عن ذلك بمراشد حفظه، ووقور فضله، ومأثور نباهته ونبله، والله يبلغنا ويبلغه ما فيه نهاية الآمال، ولا يخليه في طول البقاء من موارد السعادة والاقبال إن شاء الله تعالى وهو حسبنا ونعم الوكيل. وروى عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنه قال: أفضل ما يعمل الممتحن انتظار الفرج، والصبر على قدر البلاء، والصبر كفيل بالنجاح، والمتوكل لا يخيب طنه. وقال بعض الصالحين: استعمل في كل بلية
